من شؤون المسلمين والعالم

ضرب المفاعل النووي العراقي

إذا كان حكّام العرب في حاجة إلى ضربات متتالية ليصحوا لأنفسهم و واقع البلاد العربية الإسلاميّة بين أيديهم ، فإنّ (إسرائيل) لا تبخل عليهم بتوجيه الضربات ، وأنصار (إسرائيل) في أنحاء العالم لا يبخلون بتوجيه الضربات ..

وتدمير المفاعل النوويّ العراقيّ لم يكن الضربة الأولى ولن يكون الضربة الأخيرة ، وهو على جميع الأحوال لـــيس أخطر الضربات التي تنـــزل بشعوبنا وبلادنا تحت أنظار حكّامنا وهم ماضون في الخلافات والمعارك الجانبيـــة .. وفي سياسات الموالاة الشرقية والغربية

إنّ (إسرائيل) توجّه الضربات إلى (البشر) قبل (الطاقة المادّية) ، فتقتل كيف تشاء ومتى تشاء داخل أرض فلسطين وفي أرض لبنان وتعتقل من تشاء وتدمّر البيوت والمنشآت والمخيّمات دون حساب .. وتوجّه الـــضربات إلى الأرض والتاريخ ، فتهوّد البلاد وتشوّه المقدّسات وتعبث بالحرمات .. ولا يزال حكامنا في أرضنا العربية الإسلاميّة ماضـــين بشعوبنا وبلادنا في طريقهم (الروتينية) القاتلة من عاصمة غربية إلى عاصمة شرقية ، ومن مجلس أمن إلى أمم متحدة ، ومن مؤتمر يحتجّ إلى مؤتمر يقرّر ، ومن شتائم تُتبادَل ، إلى معارك تُثار .. وليست الضربة الأخيرة الموجّهة إلى المفاعل النووي العراقي بخلفياتها وأبعادها لتختلف عن سابقاتها ، ولا يبدو حتى الآن أنّها ستختلف عنها بنتائجها

ويمكن لأجهزة الإعلام العربية والغربية أن تمضي في تحليلاتها ما شاء لها محرّروهـــا ، في الحـــديث عـــن (عامـــل الانتخابات) وعن (عامل الحرب بين العراق وإيران) وعن (عنصر المفاجأة) وعن (الرغبـــة الإســـرائيلية في تقـــويض مبادرات السلام الغربية) ، وعن سوى ذلك من ظواهر القضية .. ويمكن أن يمضي المسؤولون في تصريحاتهم وبياناتهم ومؤتمراتهم ما شاءت لهم سياساتهم ، من توجيه الإنذارات ، وإدانة الجرائم الإسرائيلية ، والإشادة بالتضامن العربي ، و (الدعوة إلى جهاد التعبئة) ، ومن دعوات للضربات الانتقامية على صورة مزايدة فريق على حساب فريق آخر ..

كلّ هذا لا يغيّر من الحقيقة الثابتة شيئاً ، إنّ قضية فلسطين في واد ، ومعها شعوبنا وبلادنا ومصائرنا ، وحكامنا في واد آخر ، أو في أودية متشعّبة .. لا يؤدي أي منها إلى المواجهة الحقيقية للخطر الإسرائيلي وسواه من الأخطـــار الدولية التي تعصف ببلادنا ووصلت إلى أعماق دورنا

يقولون إنّ الضربة الإسرائيلية الأخيرة استهدفت عرقلة (التقدّم التقنيّ النوويّ) في العراق .. و لم تستهدف مواجهة (خطر نووي مزعوم) ، فصناعة قنبلة نووية عراقية في تقدير سائر الخبراء واللجان الدولية أقرب إلى المستحيل خـــلال عشرة أعوام على الأقل

وما كانت شعوبنا العربية المسلمة في حاجة إلى ضربة (إسرائيلية) في الأعماق لاكتشاف هذه (النتيجة) البدهيـــة حول الروح العدوانيّة الصهيونية المتأصلة

يقولون إنّ (بيجن) أراد تعزيز مركزه في المعركة الانتخابية الدائرة في (إسرائيل) .. هذا صحيح .. فكفـــاكم إذن تلويحاً وتصريحاً بأن في الأرض المحتلة فريقين من اليهود : فريقاً متطرفاً بزعامة (بيجن) وآخر معتدلاً تنتظرون صعوده إلى الحكم .. إنّ التأييد الشامل الذي وجدته ضربة (إسرائيل) في قلب عاصمة عربية دليل كـــاف لمـــن عنـــده أدنى درجات المنطق السياسي ليدرك أنّ اليهود جميعاً يريدون دماركم .. ما بين الفرات والنيل .. بل ما بـــين المحيطـــات الثلاثة أيها المسلمون

يقولون إنّ الطائرات الإسرائيلية عبرت سماء السعودية على الأقلّ ودمّرت داخـــل أرض العـــراق وعـــادت و لم تكتشفها (شبكات الرادار العربية) و(طائرات آواكس على الخليج) ولا تعرّضت لقصف مدفعية ، ولا تـــصدّت لهـــا طائرات عربية ..

ألا يكفي هذا أيّها الحكام العرب لتدركوا أنّ الخبراء الغربيين في بلادكـــم ، والمعونـــات العـــسكرية لأنظمـــة حكمكم ، والوجود الأمريكيّ في أراضيكم ، يمكن أن يحقّق كلّ الأهداف .. باستثناء هدف مواجهة الخطر الأكـــبر على أرضنا وشعوبنا العربية والإسلامية المتمثّل في (إسرائيل) ؟ .. هل وصلت معلومات الثغرات في شبكات الـــرادار إلى (عدوكم الإسرائيلي) إلاّ عن طريق (العدوّ الأمريكيّ) الذي تستقبلون في أرضكم ، وتمكّنون له في جيوشـــكم ، وهو الحليف الأول والأكبر ا (الكيان الصهيونيّ الباطل) الذي تـــدعون إلى (تعبئـــة الطاقـــات .. ســـائر الطاقـــات لمواجهته) ؟ .. ولئن كانت عيون مخابراته هذا التي تنقل أدق التفاصيل عن أرضنا وجيوشنا إلى ساسته ورجال جيشه .. فماذا تفعل مخابراتكم -التي تستهلك جزءاً أكبر من ميزانياتكم- باستثناء تعزيز أنظمة الحكم (في الداخل) ؟ ..

يقولون إنّ الضربة الإسرائيلية الأخيرة أرادت (سياسياً) تقويض بوادر ازدياد اعتماد الولايات المتحدة الأمريكيـــة على بعض البلدان العربية بما قد ينافس منـــزلة (إسرائيل) في واشنطون ..

فهل أخفت واشنطون من قبل ، أو تخفي اليوم لحظة واحدة ، أن (إسرائيل) عندها هي الأوّل والآخـــر ، وأنّهـــا على استعداد للتضحية بكلّ (حليف تابع) في المنطقة من أجل بقائها واستمرارها ونموّها ، وأنّها لم تسمح في الماضـــي

ولن تسمح في المستقبل بأن تبلغ قوّة العرب مجتمعين قوّة (إسرائيل) بمفردها ، وأنّها لن تسلّح تابعاً بما يهدّد (أمنـــها) ولن تؤيّد قراراً (يخفف من غطرستها) ، ولن تمارس سياسة تتعارض مع (مصالحها) ؟ ..

ولئن كانت (إسرائيل) لم تستشِر -كما تدّعي وتدّعي واشنطون- الدولة الكبرى في ضربتها الأخيرة ، فإلى مـــتى تجمّدون خطواتكم بانتظار معرفة سياسة الرئيس الأمريكي الجديد ، وتبيعون نفطكم لصالح العالم الغربيّ واقتـــصاده ، وتحدّدون مواعيد زياراتكم حسب الخطط الأمريكية والغربية لمستقبل منطقتكم ؟ .. إلى مـــتى تنـــادون بواشـــنطون (صديقة للعرب) وتنتظرون حلولها ووساطاتها وتصريحاتها ومواقفها .. ولا تتخذون خطوة واحدة بفعّالية كافية للتعبير عن حقيقة (الخروج عن فلك التبعيات للغرب والشرق) كما تقولون في بياناتكم ومواثيقكم وتصريحاتكم .. تلك التي تسمعها شعوبنا في الداخل فتتخدّر بها مشاعرها فترة أخرى من الزمن ، ويسمعها خصومنا في الخارج فلا يـــشكون لحظة واحدة .. بأنّه ليس لها قيمة سوى قيمة الحبر على الورق المكدّس في الملفّات الضخمة وعلى صفحات الجرائـــد والمجلات الموجّهة ! ..

يقولون .. إنّ (إسرائيل) استغلت الأوضاع الراهنة لتوجيه ضربتها المفاجئة : استغلت الحرب بين العراق وإيران ، والخلاف بين سورية والعراق والأردن ، والخلاف بين مصر وعدد من الدول العربية ، وانشغال المغـــرب بالـــصحراء وانشغال شمال أفريقيا بالقذافي ، وانشغال القرن الأفريقيّ بالخطر الأحمر .. استغلت أوضاع التفرقة والمعارك والسباب والشتائم على سائر المستويات ، فمنذا الذي يحمل المسؤولية عن هذه الأوضاع المزرية إلاّ صانعوها من المسؤولين عن الحكم في بلادنا العربية المنكوبة ؟ ..

الحكام في العراق يرون المعركة تحت لواء (القومية العلمانية) في المشرق الطريق الوحيدة الموصلة إلى فلسطين ..

والحكام في سورية يرون الدكتاتوريّة الدمويّة وتوجيه الطائرات والدبابات والرشاشات إلى صدور أبناء الشعب .. هي السبيل الوحيد لمواجهة العدوّ في (فلسطين) ! ..

والحكام في أقصى المغرب يرون في (حرب الصحراء) على سائر المستويات العسكرية والسياسية قضية أولى فوق كلّ قضية .. بما في ذلك العدوّ الجاثم في بيت المقدس .. رغم (لجنة القدس) المشكلة الهائمة من عاصمة إلى أخرى !..

والحكام في منطقة الخليج يرون أمن طرق النفط فوق أمن الشعوب العربية والإسلامية تجـــاه أعـــدى أعـــدائهم الصهيونيين والأمريكيين ! ..

والحكام في ليبيا يرون (الكتاب الأخضر) هو البداية والنهاية ولو انتهت الأمة العربية والإسلامية إلى ضياع بعـــد ضياع وتمزّق بعد تمزّق ! ..

والحكّام في مصر يرون في الوجود الأمريكي على أرض مصر والعناق مع اليهود فوق أشلاء الشهداء ودمار الحروب .. ما يعتبرون له الأولوية تجاه كلّ تضامن عربي أو إسلاميّ وتجاه كلّ قضية صغيرة وكبيرة !! ..

فأين أنتم أيّها الحكام من قضية فلسطين .. قضية العرب والمسلمين الأولى التي تتصدّر البيانات والمقالات والمواثيق والمؤتمرات ؟! ..

* * *

نقول إنّ شعوبنا وبلادنا ومصائرنا في واد وحكامنا في واد آخر .. قد تشعبت بهم السبل صوب المشرق وصوب المغرب .. فهيهات أن تجمعهم كلمة التوحيد على وحدة ، وكلمة الإسلام على جهاد ، وكلمة الإيمان على ترسيخ دعائم العدل والتحرّر والتقدّم والكرامة ..

إنّ كلّ ضربة جديدة يكيلها العدّو إلى بلادنا تحت أنظار حكامنا لتزيد من افتقاد أمل هذه الشعوب بأولئك الحكام .. ما دامو ماضين على سبلهم المتشعّبة .. تجمعهم الكلمات في مجلس الأمن ، أو في مؤتمرات القمّة .. وتفرقهم الوقائع على ساحة المعارك الجانبية ، فلا تجد لهم أثراً في ساحة العمل الجادّ الواعي البصير لخدمة قضايانا المصيرية

إنّ رسالة إنقاذ شعوبنا المسلمة وأراضينا المحتلة ورسالة بناء مستقبلنا بأيدينا رغم الشرق والغرب ، وتحرير أنفسنا واستعادة كرامتنا وإقامة حياتنا الإسلاميّة وحكمنا الإسلاميّ العادل المحقق لتحرّرنا وعزّتنا وتقدّمنا .. إنّ هذه الرسالة لا يمكن أن تحملها إلاّ قلوب آمنت بالله ربّاً واحداً قادراً على نصرة من ينصره ويجاهد في سبيله ، وسواعد رفعت مشعل الجهاد تضيء به طريق الخلاص من عهد النكبات والهزائم وسلكت به سبيل محمّد ﷺ يوم أنزل عليه قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤]

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٠]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٩-١٥٠]